

نظرية الإطار العلائقي في العلاج النفسي العابر للتشخيص

Relational Frame Theory in Transdiagnostic Psychotherapy

ياسين عداون¹، حسينة يحياوي²

¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، yacine.adaoun@ummto.dz

² جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، hassina.belhocine@ummto.dz

تاريخ القبول: 2026/06/09

تاريخ الإرسال: 2026/01/31

ملخص:

تُعدّ نظرية الإطار العلائقي إطارًا سلوكيًا معاصرًا لفهم اللغة والسيرورات المعرفية. وتنتمي هذه النظرية إلى تقاليد التحليل السلوكي، إذ تمثل امتدادًا لتفسير سكينر للسلوك اللفظي. وترى النظرية أن اللغة تركز على السلوك الإجرائي، ولا سيمًا على القدرة المحكومة بالسياق على اشتقاق العلاقات بين المثيرات. وتهدف هذه الورقة إلى عرض المرتكزات والمبادئ الأساسية لنظرية الإطار العلائقي، ومناقشة إسهامها في تفسير المعاناة النفسية من منظور عابر للتشخيص. كما تستعرض بعض الأدلة التجريبية الداعمة للنظرية، وتناقش تطبيقاتها العلاجية، ولا سيمًا في إطار العلاج بالتقبل والالتزام (ACT)، مع تناول موجز لأبرز الانتقادات المفاهيمية والمنهجية الموجهة إليها.

كلمات مفتاحية: نظرية الإطار العلائقي؛ الاستجابة العلائقية المشتقة؛ العلاج بالتقبل والالتزام؛ المنظور العابر للتشخيص.

Abstract

Relational Frame Theory is a contemporary behavioral framework for understanding language and cognition. Rooted in behavior analysis, it extends Skinner's account of verbal behavior. The theory holds that language is grounded in operant behavior, particularly in a contextually controlled capacity to derive relations among stimuli. This paper outlines the core foundations and principles of RFT and examines its contribution to explaining psychological suffering from a transdiagnostic perspective. It also reviews selected experimental evidence supporting the theory and discusses its clinical applications, especially within the framework of ACT, while briefly addressing the main conceptual and methodological critiques.

Keywords: Relational Frame Theory; Derived Relational Responding; Acceptance and Commitment Therapy; Transdiagnostic Perspective.

1- مقدمة

احتلت دراسة اللغة مكانةً محوريةً في اللسانيات وعلم النفس (الجمعي، 2016)، غير أن السيرورات المسؤولة عن توليد المعاني ظلت غير واضحة ضمن علم النفس التجريبي. وقدّم سكينر، في كتابه السلوك اللفظي، تفسيرًا سلوكيًا يعدّ اللغة سلوكًا إجرائيًا يُعرّف من خلال علاقاته الوظيفية، واصفًا السلوك اللفظي بأنه «سلوكٌ مُعزّزٌ بوساطة أشخاص آخرين» (Skinner, 1957, p. 2)، ومعتبرًا إياه شبيهًا بسائر السلوكيات الأخرى (الأعرجي، 2017؛ الحسن، 2022). إلا أنّ هذا الطرح قوبل بانتقادات واسعة، ولا سيّما من تشومسكي (1959)، الذي عدّه اختزالًا لسيرورة تعلّم اللغة وغير كافٍ لتفسير طبيعتها التوليدية والإبداعية (Pomorska & Ostaszewski, 2023).

ومنذ سبعينيات القرن الماضي، أسهم تطوّر الأبحاث السلوكية-التجريبية، ولا سيّما دراسات تكافؤ المثيرات التي بدأها موري سيدمان (1971) وطوّرها لاحقًا مع زملائه (Sidman, 2009)، في إرساء الأساس العلمي لظهور نظرية الإطار العلائقي؛ إذ أظهرت هذه الأبحاث قدرة الأفراد على اشتقاق علاقات جديدة بين المثيرات دون تعلّم مباشر (Barnes-Holmes, Y., Barnes-Holmes, D., & McHugh, 2004 ; Regaço et al., 2025). وتمثّل هذه النظرية امتدادًا تحليليًا للتحليل السلوكي، إذ تفترض أنّ اللغة تقوم على استجابات علائقية محكمة بالسياق، تُنظّم عبر مجموعة من الخصائص الأساسية، بما يسمح بتكوين شبكات علائقية واشتقاق المعنى دون تدريب مباشر (Hayes, Barnes-Holmes, D., & Roche, 2003; Barnes-Holmes, D., Barnes-Holmes, Y., & Cullinan, 2000).

وفي هذا السياق، شكّلت نظرية الإطار العلائقي الأساس السلوكي الذي انبثق عنه العلاج بالتقبّل والالتزام، بوصفه نموذجًا علاجيًا يترجم افتراضات النظرية إلى تدخلات إكلينيكية. وتُعَدّ نظرية الإطار العلائقي الأساس التجريبي والمفاهيمي للعلاج بالتقبّل والالتزام (Hayes, Strosahl, & Wilson, 2012)، المعروف اختصارًا بالآكت (ACT)، وهو أحد مناهج الموجة الثالثة من العلاجات السلوكية المعرفية (زوريق و بلمهوب، 2022). ويُصنّف ضمن أكثر التدخلات العلاجية الحديثة دعمًا بالأدلة التجريبية، نظرًا لفعاليتها في معالجة اضطرابات نفسية متعددة من خلال تنمية المرونة النفسية (Dindo, Van Liew, & Arch, 2017; Rutschmann et al., 2024). وعلى رغم التطوّر المتزايد للأبحاث حول نظرية الإطار العلائقي، لا تزال المكتبة العربية تفتقر إلى عرض تحليلي يربط بين أسسها المفاهيمية وتطبيقاتها العلاجية من منظور عابر للتشخيص.

• إشكالية الورقة البحثية:

ينطلق الفهم التقليدي لعلم النفس المرضي من التركيز على محتوى الخبرات النفسية، في حين تقدّم نظرية الإطار العلائقي مقارنة سلوكية سياقية تُرجع المعاناة النفسية والاضطرابات النفسية إلى جمود الاستجابات العلائقية وتقيدّها بالسياق اللفظي. وفي ضوء هذا التحول

التفسيري، تتمحور إشكالية هذه الورقة حول تحليل الأسس النظرية والفلسفية لنظرية الإطار العلائقي، وتتبع سياق تطورها، وبيان قدرتها على تفسير الاضطرابات النفسية من منظور عابر للتشخيص، مع فحص حدودها العلمية والانتقادات الموجّهة إليها.

• أهمية وأهداف الورقة البحثية:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم عرض تحليلي لنظرية الإطار العلائقي بوصفها إطارًا تفسيريًا يركّز على السيرورات الوظيفية المشتركة الكامنة وراء الاضطرابات النفسية، بدل الاختصار على توصيف الأعراض أو محتوى الخبرة الذاتية. وتنبع أهمية الدراسة من إسهامها في توضيح المفاهيم الأساسية للنظرية ومبادئها التجريبية، وإبراز كيفية ترجمتها إلى تطبيقات علاجية عابرة للتشخيص، ولا سيّما في إطار العلاج بالتقبل والالتزام.

• المنهجية المعتمدة:

تعتمد هذه الورقة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال مراجعة وتحليل بعض الأدبيات العلمية التأسيسية المتعلقة بنظرية الإطار العلائقي، مع التركيز على تطورها المفاهيمي، وأسسها الفلسفية، والأدلة التجريبية الداعمة لها، وتطبيقاتها الإكلينيكية في سياق العلاج النفسي العابر للتشخيص، بما يتيح تقديم رؤية تحليلية متكاملة تجمع بين الإطار التفسيري للنظرية وممارساتها العلاجية، مع مناقشة أبرز الإشكالات المفاهيمية والمنهجية المرتبطة بها.

2- تعريف نظرية الإطار العلائقي (Relational Frame Theory ; RFT):

تُعدّ نظرية الإطار العلائقي صياغةً تحليليةً سلوكيةً معاصرة تفسّر اللغة والسيرورات المعرفية بوصفها استجاباتٍ علائقيةً مشتقةً، بصورةً اعتباطيةً وغير اعتباطيةً (Stewart & Roche, 2013; Mulhern, 2022). وتتميّز عن التحليل السلوكي التقليدي بتناولها اللغة بوصفها نشاطًا سلوكيًا سياقياً، يركّز على العلاقات العلائقية بين المثيرات، لا على الأحداث اللفظية المعزولة. ومن هذا المنظور، تقدّم إطارًا موحدًا لتفسير التجارب النفسية ضمن سياقاتها التاريخية والراهنة (Hayes et al., 2001)، بما يُسهّم في فهم الأداء اللغوي والمعرفي الإنساني، وإحياء المبادئ السلوكية.

3- السياق التاريخي وأسس نظرية الإطار العلائقي:

1-3- التطورات ما بعد سكينر وأبحاث تكافؤ المثيرات:

يقضي فهمُ نظرية الإطار العلائقي وضعها في سياقها التاريخي خلال أواخر القرن العشرين. فرغم إسهامات سكينر (1957) في تقديم تفسيرٍ سلوكيٍّ-وظيفيٍّ للغة، تعرّض نموذجه لانتقادات تشومسكي (1959)، التي شكّكت في كفاية التفسيرات السلوكية للسلوك اللفظي (Harte & Barnes-Holmes, 2023; Mulhern, 2022). وفي هذا السياق، قدّم سكينر (1966) مفهوم

«السلوك المحكوم بالقواعد» بوصفه سيرورة تفسّر قدرة الإنسان على حلّ المشكلات من خلال اللغة والتعليمات، دون اعتماد مباشر على التجربة (Hughes & Barnes-Holmes, 2016). وفي سبعينيات القرن العشرين، شكّلت أبحاث سيدمان (1971) حول تكافؤ المثيرات منعطفًا مهمًا في تحليل السلوك؛ إذ أظهرت قدرة الأفراد على اشتقاق علاقات جديدة بين المثيرات دون تدريب مباشر، مثل إمكانية استنتاج $(A = C)$ بعد تعلّم $(A = B)$ و $(B = C)$. وتتميّز هذه الظاهرة بخصائص التكافؤ الثلاث: الانعكاسية، والتناظر، والانتقالية (Regaço et al., 2025; Stewart & Roche, 2013). وقد أثار تكافؤ المثيرات تساؤلاتٍ أساسية حول كفاية التعزيز المباشر لتفسير السلوك اللفظي، وحول ارتباط هذه الظاهرة باللغة على نحو شبه حصري. وانطلاقًا من ذلك، اعتبر سيدمان وزملاؤه (1982) أن تكافؤ المثيرات يقدّم تعريفًا وظيفيًا للمعنى الرمزي، بوصفه انتماءً إلى فئات علائقية. وفي هذا السياق، أعاد هايز (1991) صياغة تكافؤ المثيرات باعتباره شكلاً من «السلوك الإجرائي المُعَمَّم»، مؤكّدًا أن الكائن اللفظي يطرّوّر أنماطًا من الاستجابات العلائقية، أطلق عليها «الأطر العلائقية» (Relational Frames)، التي تتبلور خلال النمو اللغوي المبكر، وهو ما شكّل أساس نظرية الإطار العلائقي (Gross & Fox, 2009; Hughes & Barnes-Holmes, 2016).

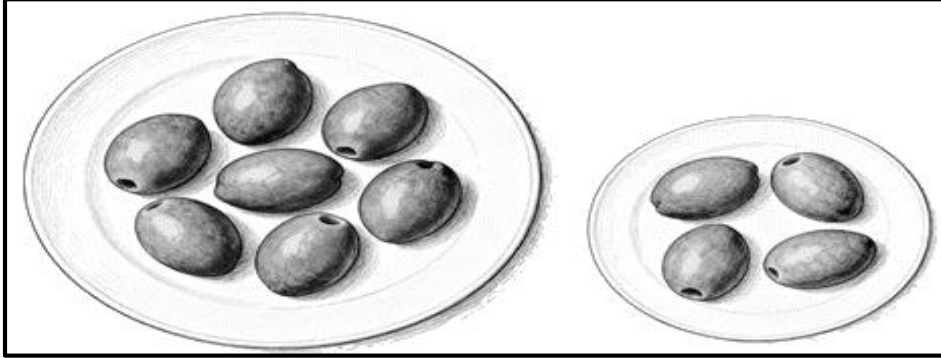
2-3- الأسس الفلسفية: السياقية الوظيفية (Functional Contextualism ; FC):

تستند نظرية الإطار العلائقي إلى السياقية الوظيفية، التي تتخذ من «الفعل في السياق» (Act in Context) وحدةً تحليليةً أساسية. وتقوم هذه الفلسفة، بحسب هايز (Hayes et al., 2016)، على التركيز على الحدث بوصفه كلاً متكاملًا، وعلى دور السياق في تحديد وظيفة الحدث، واعتماد معيار براغماتي للحقيقة قائم على الفعلية، إلى جانب تحديد أهداف علمية واضحة لتطبيق هذا المعيار. وبموجب هذا الالتزام الفلسفي، يُنظر إلى الأفكار والانفعالات بوصفها أنماطًا سلوكيةً يحكمها السياق، لا كياناتٍ ذهنيةً مستقلة، ويُفترض أن المعنى لا ينبثق من الكلمات ذاتها، بل من الشبكات العلائقية المنظّمة لها (Hayes, Barnes-Holmes, & Roche, 2001; Törneke, 2010). ويُترجم هذا المنظور في نموذجٍ علائقيٍّ ديناميكيٍّ يركّز على تحويل وظائف المثيرات بوصفه سيرورةً محوريةً لفهم اللغة والسلوك (Luoma, Hayes, & Walser, 2007; Zettle et al., 2016). ويُعدّ هذا التركيز أساسيًا لتفسير ثلاث قدرات لغوية جوهرية (Hughes & Barnes-Holmes, 2016): إحداث استجاباتٍ انفعاليةٍ دون تعرّض مباشر للمثيرات، وتوجيه السلوك عبر القواعد، وتوليد معاني جديدة من العلاقات المشتقة.

4- المفاهيم ومبادئ النظرية الأساسية:

تفترض نظرية الإطار العلائقي أن اللغة والقواعد تمثّل أشكالًا من السلوك الإجرائي، أي استجابات تُعدّل وظائفها عبر شبكات من العلاقات المشتقة (Derived Relations). ففي حين تُظهر الكائنات غير اللفظية استجابات علائقية أساسية وغير اعتباطية (Non-Arbitrarily Applicable)

(Relational Responding)، يطور الكائن اللفظي أنماطاً أكثر تعقيداً من السلوك الإجرائي العلائقي الاعتباطي التطبيقي (Arbitrarily Applicable Relational Responding)، مما يمكنه من تجاوز التعلّم المباشر والتعامل مع العالم بطرائق أكثر تجريداً. ويميّز هذا المنظور بين نمطين متميزين من السلوك الإجرائي العلائقي المشتق (Hayes et al., 2001; Hughes & Barnes-Holmes, 2016).



شكل (1): نموذج للاستجابة العلائقية غير الاعتباطية التطبيقي من نوع المقارنة.

1-4- الاستجابة العلائقية القابلة للتطبيق بشكل غير اعتباطي (NAARR):

تُشير الاستجابة العلائقية غير اعتباطية التطبيقي إلى استجابات تعتمد على الخصائص الفيزيائية بين المثيرات، مثل الشكل أو اللون أو الحجم. ويمكن للكائنات الحية، إظهار هذا النمط من الاستجابة من خلال التدريب المباشر. ويميّز هذا النوع بكونه قائماً على خصائص مادية قابلة للملاحظة والتحقق المباشر، ويختلف جوهرياً عن الاستجابات العلائقية الاعتباطية التطبيقي، التي تُحدّد وفق القواعد والأعراف الاجتماعية (Hughes & Barnes-Holmes, 2016; Mulhern, 2022).
ولفهم إطار المقارنة مثل «أكثر من» و«أقل من»، الذي يمكن لاحقاً تطبيقه في سياقات الاستجابة العلائقية الاعتباطية التطبيقي—كالمقارنة بين قيم العملات (اليورو € والدينار DZD)—يلزم أولاً اكتساب الاستجابة العلائقية غير الاعتباطية من خلال ربطها بتمثيلات فيزيائية غير مجردة. ويمكن تحقيق ذلك عبر تدريب الفرد على العلاقات المقارنة، على سبيل المثال، باستخدام كميات مختلفة من المواد (مثل 7 حبّات زيتون مقابل 4؛ انظر الشكل 1). ومع تكرار التدريب والتعزيز التفاضلي للاختيار الصحيح استجابةً لسؤال «أي طبق يحتوي على أكثر؟ وأيهما يحتوي على أقل؟»، يكتسب الفرد تدريجياً المعنى الوظيفي للمؤشرات السياقية (C-func) «أكثر من» و«أقل من». وبذلك

تترسّخ الاستجابة العلائقية غير الاعتبائية من خلال التعرّض المتكرّر وتعزيز للعلاقات الطبيعية الملاحظة في البيئة.

يُظهر الشكل (1) مثالاً لاستجابة علائقية غير اعتبائية التطبيق من نوع المقارنة؛ إذ يختار الفرد الطبق الأيسر الذي يحتوي على عدد أكبر (7 حبّات) والطبق الأيمن الذي يحتوي على عدد أقل (4 حبّات) عند طرح السؤال «أيّ طبق يحتوي على أكثر؟ وأيهما يحتوي على أقل؟». ولا تعتمد هذه الاستجابة على توجيه لفظي، بل على ملاحظة الخصائص الفيزيائية للمثيرات، مما يوضّح قدرة الفرد على إظهار استجابة (NAARR) قائمة على فهم العلاقات الطبيعية. وتمثّل هذه القدرة الأساس الذي يُبنى عليه لاحقاً تطوّر الاستجابات العلائقية الاعتبائية التطبيق (AARR) ذات الطابع الأكثر تجريداً.

4-2- الاستجابة العلائقية القابلة للتطبيق بشكل اعتباطي (AARR):

تُعدّ الاستجابة العلائقية الاعتبائية التطبيق (AARR) مهارة معرفية متقدّمة تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات، وتمثّل شكلاً معقّداً من السلوك العلائقي المحكوم بالعلاقات المشتقة بين المثيرات. وعلى خلاف الاستجابة العلائقية غير الاعتبائية التطبيق (NAARR)، التي تعتمد على الخصائص المادية المباشرة، تقوم (AARR) على ربط المثيرات وفق علاقات مشتقة اعتباطياً من خلال التدريب متعدّد الأمثلة. ويكتسب الإنسان هذه القدرة تدريجياً عبر التعليم اللفظي والتسميات ضمن السياقين الاجتماعي والثقافي، حيث تُبنى العلاقات على المعاني المشتقة والتحكّم السياقي (Crel و Cfunc)، بدلاً من الخصائص الفيزيائية للمثيرات (انظر الشكل 2)، وهو ما يبرز الطبيعة الاعتبائية المميّزة لهذا النمط السلوكي (Dixon & Stanley, 2020; Hughes & Barnes-Holmes, 2016).

ويتّضح ذلك من المثال الآتي: إذا أُخبر الطالب بأن «الفصام أكثر تعقيداً من القلق»، فإنّه يستدلّ مباشرة على أن «القلق أقلّ تعقيداً من الفصام». ولا يعتمد هذا على خصائص مادية، بل على مؤشّرات الإطار العلائقي «أكثر» و«أقل»، التي تستدعي سلوكاً علائقياً قائماً على الاستلزام ضمن إطار علائقي مقارن. ويمثّل هذا النوع من السلوك سيرورة إجرائية منظّمة تُحكم عبر التحكّم السياقي والمؤشّرات السياقية. (Hayes et al., 2001; Mulhern, 2022)

شكل (2): نموذج للاستجابة العلائقية الاعتبائية التطبيق من نوع المقارنة.



يُظهر الشكل (2) مثالاً للاستجابة العلائقية الاعتبائية التطبيق من نوع المقارنة؛ إذ يُعرض مثيران: قطعة نقدية من فئة (10€) وأخرى من فئة (DZD 100). ورغم أن قطعة الـ 100 دينار أكبر حجمًا، فإن قيمة الـ 10 يورو أعلى منها. وعند سؤال الفرد عن القطعة الأكثر قيمة، يُرجّح أن يختار اليورو، لا استنادًا إلى الخصائص الفيزيائية أو الحجم، بل اعتمادًا على استلزام تحكمه الإشارات السياقية والوضع الاقتصادي الراهن الذي يحدّد القيمة النسبية. ويُبيّن هذا المثال أن (AARR) تتجاوز الخصائص المادية المباشرة، وتعتمد على شبكات علائقية مشتقة تُنظّم بالإشارات اللغوية والسياقية.

3-4- الخصائص الجوهرية للأطر العلائقية:

تتسم الأطر العلائقية، لدى الكائنات اللفظية، سواء أكانت غير اعتباطية أم اعتباطية التطبيق، بثلاث خصائص أساسية تُعدّ حجر الأساس في نظرية الإطار العلائقي (Hayes, Barnes-Holmes, & Roche, 2001; Törneke, 2010)

4-3-1- الاستلزام المتبادل (Mutual Entailment):

يشير الاستلزام المتبادل إلى القدرة على اشتقاق علاقة عكسية بين مثيرين أو أكثر استنادًا إلى إشارة سياقية محدّدة، بحيث يُستدلّ على انعكاس اتجاه العلاقة فور تقديمها ضمن إطار علائقي معيّن (Blackledge, 2003; Luciano, Gómez Becerra, & Rodríguez Valverde, 2007). فعلى سبيل المثال، إذا قيل «الصحراء الجزائرية تحتوي على أفعى القرناء»، يُستنتج أن «أفعى القرناء توجد في الصحراء الجزائرية». ورغم تشابه هذا المبدأ مع التناظر في أبحاث تكافؤ المثيرات، فإنه يختلف عنه من حيث الشمولية؛ إذ يقتصر التناظر على العلاقات المتماثلة، بينما يشمل

الاستلزام المتبادل أطراً علائقية متعددة، سواء كانت ثنائية الاتجاه كالعلاقات المكانية والمقارنة، أم موجهة سياقياً كالعلاقات الزمنية (Mulhern, 2022). ويتضح ذلك في الأطر الزمنية، حيث يؤدي قول «أنهت ريمة السباق قبل ياسمين» إلى استنتاج «ياسمين أنهت السباق بعد ريمة»، وفي الأطر المكانية، حيث يستلزم قول «الأفعى توجد في الصحراء» استنتاج «الصحراء تحتوي على الأفعى». ويُعدّ الاستلزام المتبادل خطوةً أساسيةً في التسلسل النمائي للاستجابات العلائقية، إذ يتطلب تاريخاً من التعزيز متعدد الأمثلة قائماً على الاستجابات غير الاعتيادية التطبيق، ويمثل شرطاً ضرورياً لاكتساب كلٍّ من الاستلزام التركيبي وتحويل وظائف المثيرات (Gross & Fox, 2009; Hughes & Barnes-Holmes, 2016).

4-3-2- الاستلزام التركيبي (Combinatorial Entailment):

يشير الاستلزام التركيبي إلى اشتقاق علاقات جديدة بين ثلاثة مثيرات أو أكثر عندما تجتمع علاقتان أو أكثر من الاستلزام المتبادل ضمن سياق واحد وتحت مؤشر سياقي محدد (Mulhern, 2022; Törneke, 2010). فمثلاً، إذا كانت العلاقة «A مماثل لـ B» و«B مماثل لـ C»، يُستنتج عبر الاستلزام التركيبي أن «A مماثل لـ C»، مما يُنتج شبكة علائقية مترابطة بين العناصر الثلاثة. ورغم تشابه هذا المبدأ مع الانتقالية في أبحاث تكافؤ المثيرات، فإنه يتميز بشمولية أوسع؛ إذ لا يقتصر على علاقات التنسيق، بل ينطبق على مختلف الأطر العلائقية، كالمقارنة والمعارضة والهرمية والزمنية، مع اختلاف طبيعة العلاقات المشتقة بحسب نوع الإطار (Gross & Fox, 2009; Mulhern, 2022).

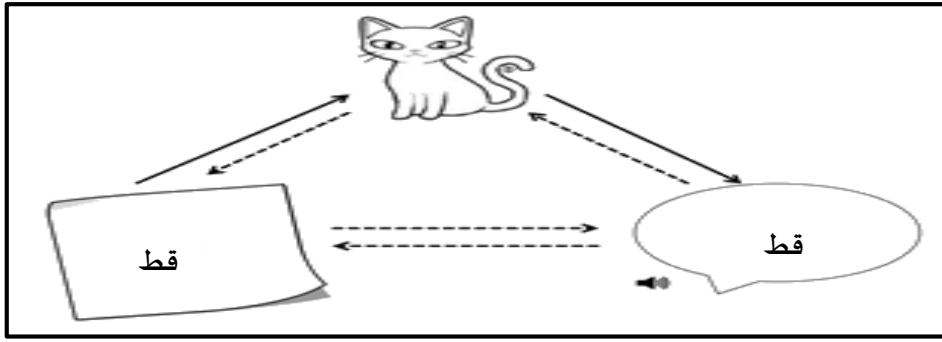
ففي إطار المقارنة، إذا كان «علي أطول من سمير» و«سمير أطول من فاطمة»، يُستنتج أن «علي أطول من فاطمة»، بينما في إطار المعارضة، إذا كان «A عكس B» و«B عكس C»، يُستنتج أن «A نفس C» وليس عكسه. ولا يقتصر الاستلزام التركيبي على عدد محدود من المثيرات، بل يمتد إلى شبكات علائقية واسعة، حيث تؤدي إضافة علاقات جديدة إلى تضاعف الاستنتاجات المشتقة وزيادة التعقيد البنوي، كما في دمج إطار تنسيق إضافي داخل شبكة قائمة. ويبرز هذا المبدأ بوضوح في تفسير المعاناة النفسية؛ إذ قد تؤدي تجربة واحدة مؤلمة، عبر الاستلزام التركيبي، إلى بناء شبكة من المعاني السلبية المترابطة، مثل اشتقاق «الفشل = عدم الكفاءة» ثم «تلقي النقد = عدم الكفاءة»، ومع انتقال الوظائف الانفعالية السلبية عبر هذه الشبكة، تصبح مثيرات بسيطة قادرة على استدعاء انفعالات غير سارة، مما يوضح أن تعديل عنصر واحد في الشبكة لا يكفي، لأن الأفكار والانفعالات مترابطة وظيفياً ضمن منظومة علائقية معقدة.

4-3-3- تحول وظيفة المثيرات (Transformation of Stimulus Functions):

يُعدّ تحول وظيفة المثيرات المكوّن الجوهرى والمميّز في نظرية الإطار العلائقي، إذ تمارس اللغة والرموز المشتقة من خلاله تأثيراً مباشراً في السلوك والانفعالات، وهو مبدأ لا يمتلك نظيراً

مباشراً في أبحاث تكافؤ المثيرات، ما يجعله سمة فريدة لهذه النظرية. ويتمثل هذا المبدأ في أن المثيرات الاعتبائية التطبيق المدرجة ضمن شبكات علانقية تكتسب وظائف انفعالية ونفسية جديدة من المثيرات المرتبطة بها عبر العلاقات المشتقة، وفقاً لمؤشرات التحكّم السياقي الوظيفي (Cfunc) التي تنظّم أيّ الوظائف يمكن تحويلها في سياق معيّن (Johansson, 2025; Mulhern, 2022). ويتّضح ذلك، على سبيل المثال (انظر الشكل 3)، في اكتساب كلمة «قطّ» قدرةً على استدعاء استجابات خوف لدى طفل تعرّض سابقاً لخدش من قط، حيث تنتقل الوظيفة الانفعالية غير السارة من المثير الأصلي إلى الرمز اللفظي دون حضور القط ذاته. مع بقاء هذا التحويل مضبوطاً بالخصائص الفيزيائية والتحكّم السياقي، بما يمنع انتقال الوظائف على نحو عشوائي. (Hughes & Barnes-Holmes, 2016).

شكل (3): تحوّل وظائف المثيرات ضمن شبكة علانقية.



وعلى المستوى الإكلينيكي، يفسّر تحوّل الوظيفة كيف تؤدي الشبكات العلانقية إلى إعادة تشكيل الخبرة الانفعالية؛ ففي الاكتئاب، قد تنتقل وظائف سلبية مرتبطة بـ«الفشل-العجز» إلى الذات عبر علاقات تنسيق (Zettle, 2016)، وفي اضطرابات القلق قد تثير كلمات أو صور رمزية استجابات خوف بسبب انتقال الوظائف من المثيرات الأصلية، بينما في اضطراب الضغط ما بعد الصدمة تصبح كلمات مرتبطة بالحدث الصدمي مثيرات مشتقة قادرة على استدعاء الاستجابة الفسيولوجية والانفعالية ذاتها. وتبيّن هذه الأمثلة أن اللغة ليست محايدة، بل تحمل دوالاً وظيفية انفعالية وسلوكية، وأن تحوّل وظائف المثيرات عبر الشبكات العلانقية يمثّل السيرة المركزية في توليد المعاناة النفسية أو المرونة النفسية، تبعاً لمرونة هذه الشبكات أو جمودها وقابليتها للتعديل سياقياً. (Gross & Fox, 2009; Hayes, Barnes-Holmes, & Roche, 2001).

4-4- بنية الشبكات العلانقية:

تقترح نظرية الإطار العلانقي أن اللغة تُشكّل شبكات علانقية ديناميكية ومتعددة الأبعاد من العلاقات بين المثيرات، تتجاوز الترابطات الخطية البسيطة لتكوّن عائلات معقدة من الأطر

نظرية الإطار العلائقي في العلاج النفسي العابر للتشخيص

العلائقية. وتتحوّل في هذه الشبكات إشارات سياقية تحدّد طبيعة التأطير بين العناصر، مما يجعل معاني الكلمات متعدّدة ومتغيّرة وظيفيًا تبعًا للسياق العلائقي الذي تُستخدم فيه. وفيما يأتي عرض موجز لأهم الأطر العلائقية شيوعًا (انظر الجدول 1) (Barnes-Holmes, Barnes-Holmes, & McHugh, 2004; Hayes et al., 2001; Johansson, 2019; Mulhern, 2022; Regaço et al., 2025):

الجدول (1): أهم الأطر العلائقية الأكثر دراسة في نظرية الأطر العلائقي

الإطار	الوصف العام
التنسيق	يربط المثيرات على أساس التشابه أو التطابق تحت إشارات سياقية مثل «يساوي» و«مثل»، ويُعدّ أول إطار علائقي يتطوّر، إذ يعكس إدراك أن الكلمات تشير إلى الأشياء والأحداث وتتشرك معها في وظائفها.
التضاد	يربط المثيرات على أساس الاختلاف التام تحت إشارات مثل «عكس»، ويتطوّر بعد اكتساب التنسيق، حيث تكتسب المثيرات وظائف متباينة تبعًا لموقعها داخل الشبكة العلائقية.
التمييز	يربط المثيرات على أساس الاختلاف تحت إشارات مثل «مختلف عن»، ويتميّز بعدم الدقّة، مما يتيح استجابات متنوّعة وغير محدّدة بدقّة.
المقارنة	ينظّم العلاقات الكميّة أو النوعيّة بين المثيرات، مثل «أكبر/أصغر» أو «أفضل/أسوأ»، ويتيح اشتقاق علاقات مقارنة جديدة على بُعد محدّد.
التسلسل الهرمي	ينظّم العلاقات بين الفئات والفئات الجزئية ضمن مستويات متداخلة، جامعًا بين علاقات التنسيق والتمييز، مع إمكانية تداخل الفئات وتلاشي الحدود الدقيقة بينها.
المكانية والزمنية	تنظّم العلاقات المكانية موقع المثيرات نسبةً إلى نقاط مرجعية، بينما تتيح العلاقات الزمنية بناء تصوّر للماضي والمستقبل، وتُعدّ أساسًا للسلوك المحكوم بالقواعد
الإشاريّة/ الديكتيكية	يعبّر عن العلاقات من منظور المتحدّث (أنا/أنت، هنا/هناك، الآن/حينها)، ويقوم على تحويل المنظور، وقد ارتبط بوظائف نفسيّة واجتماعيّة.

ويظهر تعقيد تكوين الشبكات العلائقية من خلال قدرة الإنسان على دمج أطر متنوّعة وربط فئات علائقية بأخرى (Hayes et al., 2001). فعلى سبيل المثال، تشارك كلمة «الحب» في شبكات علائقية متعدّدة: تنسيقية («الحب = التعلّق»)، وهرميّة («الحب الرومانسي»، «حب الصداقة»)، وزمنيّة («الحب يأتي قبل الالتزام»)، وتضاديّة («الحب عكس الكراهية»)، وتمييزيّة

«الحب مختلف عن الإعجاب» بدرجات متعدّدة)، ومقارنة («الحب أقوى من الإعجاب»)، وديكتيكية («أنا أحبّك» مقابل «أنت تحبّي»). وتُعدّ مشاركة كلمة «الحب» في هذه الشبكة المعقّدة جزءاً أساسياً من التدريب اللغوي الاجتماعي، وتؤدّي آثاراً تركيبية لافتة بفعل الاستلزام التركيبي؛ إذ قد يؤدّي فهم جديد واحد، مثل «الحب يعني فقدان»، إلى إعادة تنظيم فورية لكّل العلاقات المشتقة، بحيث تُعاد صياغة الذكريات والمعاني المرتبطة بالحب، وهو ما يفسّر كيف يمكن لتجربة انفصال واحدة أن تعيد تعريف معنى الحب والعلاقات لدى الفرد بأكملها.

وفي السياق الإكلينيكي، تُجسّد كلمة «القلق» هذا البناء العلائقي المعقّد؛ إذ تشارك في علاقة تنسيق مع الاستثارة الفسيولوجية والقلق، وتوضّع في تضاد مع حالة «الاسترخاء»، وتُنظّم هرمياً بحيث تندرج تحتها مشاعر أخرى مثل الذعر والخوف، وترتبط زمنياً بأحداث حياتية محدّدة. وينشأ المعنى الوظيفي للقلق من مجموع هذه العلاقات، ومن تحوّل وظائف المثيرات المرتبطة بها في آنٍ واحد، لا من خاصيّة جوهريّة للكلمة ذاتها. ويُفسّر هذا التنوع لماذا يختلف معنى القلق بين الأفراد تبعاً لاختلاف الشبكات العلائقية التي يرتبط بها كلّ فرد (Hughes & Barnes-Holmes, 2016). ويُعدّ هذا الفهم أساساً للاكت، الذي يركّز على تنمية مرونة الشبكات العلائقية من خلال فكّ الاندماج المعرفي، واليقظة الذهنيّة، والفعل القائم على القيم، بدلاً من محاولة تعديل محتوى الأفكار ذاتها أو تجنبها.

4- 5- السلوك المحكوم بالقواعد:

يُعدّ السلوك المحكوم بالقواعد، كما صاغه سكينر (1966)، إحدى القدرات السلوكية المميّزة للإنسان وأساس التعقيد اللفظي، إذ يتيح توجيه السلوك اعتماداً على قواعد لفظية تصف العلاقات بين الأفعال ونتائجها دون الحاجة إلى خبرة مباشرة بتلك النتائج. وتُسهم هذه القدرة، التي تتطوّر في مراحل النمو المبكرة، في تنظيم السلوك والتنبؤ باستجابات الآخرين، من خلال التحكم السياقي واللغوي (Christensen et al., 2004; McEnteggart, 2018; Törneke, 2010). وينشأ هذا النمط من السلوك عن تطبيق قواعد تصف ظروفًا طارئة محدّدة، بما يسمح للفرد بتجاوز الاعتماد على التعزيز المباشر وتوجيه سلوكه استناداً إلى الوصف اللفظي لتلك الظروف (Tarbox et al., 2011).

وقد ميّز زتل وهاييز (1982) ثلاثة أنماط وظيفية للسلوك المحكوم بالقواعد، تختلف بحسب مصادر الضبط والدافعية. يتمثّل الامتثال في اتباع القواعد تحت تأثير العواقب الاجتماعية المتوسّطة، وقد يؤدّي الإفراط فيه إلى امتثال معمّم يحدّ من المرونة السلوكية (Harte et al., 2020; Törneke, Luciano & Valdivia Sala, 2008). أمّا التتبّع فيقوم على تطابق القاعدة مع العلاقات الطبيعية في البيئة، بحيث يُضبط السلوك بالعواقب الطبيعية لا الاجتماعية، ويُسهم

في تنمية فهم أدق للعلاقات السببية واكتساب أطر علائقية متعددة. في حين يشير التعديل القيمي إلى قواعد تغير القيمة المعززة للنتائج عبر ربطها بشبكات من المعاني العلائقية، بما يؤثر في الدافعية ويوجّه السلوك نحو أهداف بعيدة أو مجردة. ويمنح هذا النمط مرونة كبيرة في توجيه السلوك والالتزام بالقيم، لكنه قد يحمل آثارًا سلبية محتملة تبعًا للسياق الثقافي وتاريخ التعلم، ما يجعله سلاحًا ذا حدين (Valdivia Sala, 2008 & Tarbox et al., 2020; Törneke, Luciano).

5- الأدلة التجريبية والتحقق العلمي في نظرية الإطار العلائقي:

حظيت نظرية الإطار العلائقي بدعم تجريبي متزايد من الأبحاث المخبرية والتطبيقية. فقد أعادت الدراسات المبكرة تكرار وتوسيع نتائج أبحاث تكافؤ المثيرات عبر فئات سكانية وإجراءات تدريب متنوعة، وأظهرت ظهور علاقات علائقية غير مدربة بما يتوافق مع افتراضات النظرية. وتتمثل أقوى الأدلة في دراسات تحوّل وظائف المثيرات، التي بيّنت أن المثيرات يمكن أن تكتسب خصائص انفعالية غير سارة أو مفضّلة من خلال العلاقات المشتقة وحدها، دون اقتران مباشر، كما في انتقال الاستجابات الانفعالية من مثيرات مقترنة بالصدمات إلى مثيرات أخرى ضمن شبكات علائقية (Dymond et al., 2010; Hayes & Barnes-Holmes, 2013). كما اتّسع نطاق البحث التجريبي لفحص أطر علائقية أكثر تعقيدًا، مثل التضاد والمقارنة والهرمية وتبني المنظور، وأظهرت دراسات عصبية أنماط تنشيط مميزة في مناطق دماغية مرتبطة بالتحكّم التنفيذي أثناء مهام الاستجابة العلائقية المشتقة مقارنةً بالتعلّم المباشر، مما يوفّر دعمًا عصبيًا لآليات النظرية (Harte et al., 2023; Harte & Barnes-Holmes, 2024; Hughes & Barnes-Holmes, 2016; Kissi et al., 2017).

وعلى المستوى التطبيقي، تستمد النظرية دعمًا قويًا من التدخلات العلاجية والتعليمية القائمة على مبادئها، إذ أظهرت تحسينات ملحوظة في الجوانب اللغوية والمعرفية والانفعالية. ويُعدّ العلاج بالتقبّل والالتزام، بوصفه امتدادًا مباشرًا للنظرية، من أكثر التدخلات الموجهة الثالثة دعمًا بالأدلة التجريبية، مع إثبات فعاليته في طيف واسع من الاضطرابات النفسية من خلال تجارب إكلينيكية عشوائية مضبوطة (Li et al., 2022 ; Dindo, Van Liew, & Arch, 2017). كما أظهرت برامج التدريب العلائقي في السياقات النمائية والتعليمية، مثل (PEAK) و (SMART)، فاعلية في تعزيز النمو اللغوي والمهارات المعرفية والتحصيل الأكاديمي (Dixon et al., 2017; Hughes & Barnes-Holmes, 2016; Mulhern, 2022). وفي اضطراب طيف التوحد، دعمت الدراسات ظهور علاقات غير مدربة وتعميمًا على مثيرات جديدة واكتساب مهارات لغوية معقدة، كما أظهرت دراسة عربية (أصيل وآخرون، 2024) فاعلية البرامج القائمة على نظرية الإطار العلائقي في تحسين اللغة

الاستقبالية لدى الأطفال ذوي التوحد، مع استقرار المكاسب في المتابعة، مما يؤكد قابلية تطبيق النظرية في السياقات العربية.

6- نظرية الإطار العلائقي والاضطرابات النفسية: التطبيقات الإكلينيكية في العلاج النفسي:

6-1- فهم المعاناة النفسية من خلال نظرية الإطار العلائقي:

تقدّم نظرية الإطار العلائقي تفسيرًا سلوكيًا مميزًا للمعاناة النفسية، إذ تُرجع جوهر المشكلة إلى الجمود في الاستجابات العلائقية. وتنشأ الاضطرابات النفسية عندما يصبح الفرد مندمجًا مع أطر علائقية معينة (الاندماج وسياق الحرفيّة)، فيتعامل معها كما لو كانت حقائق مطلقة تستوجب الهروب أو التجنّب التجريبي، بدل ملاحظتها بوصفها مجرد أفكار أو أحداث لغويّة. ففي اضطرابات القلق، يطرّو الفرد إطارًا علائقيًا جامدًا يربط بين الأحاسيس الجسدية والخطر (مثل: «خفقان القلب = خطر»)، ومع ترسخ هذا الإطار تصبح هذه الأحاسيس مثيرات للقلق، مما ينشئ حلقة إشكالية يتولّد فيها القلق من القلق نفسه. وتغدو الاستجابات العلائقية غير مرنة، حيث تستدعي الأحاسيس الجسدية تلقائيًا أطرًا دلاليّة مرتبطة بالتهديد دون إتاحة إمكانية لتشكيل معاني بديلة، وهو ما يفسّر فشل بعض التدخّلات المعرفيّة السلوكيّة التقليديّة؛ فالمشكلة لا تكمن في صدق الفكرة، بل في الاستجابة العلائقية التلقائية الجامدة والوظائف الانفعالية الناتجة عنها (Wilson, 2012 & Harte et al., 2023; Hayes, 2004; Hayes, Strosahl).

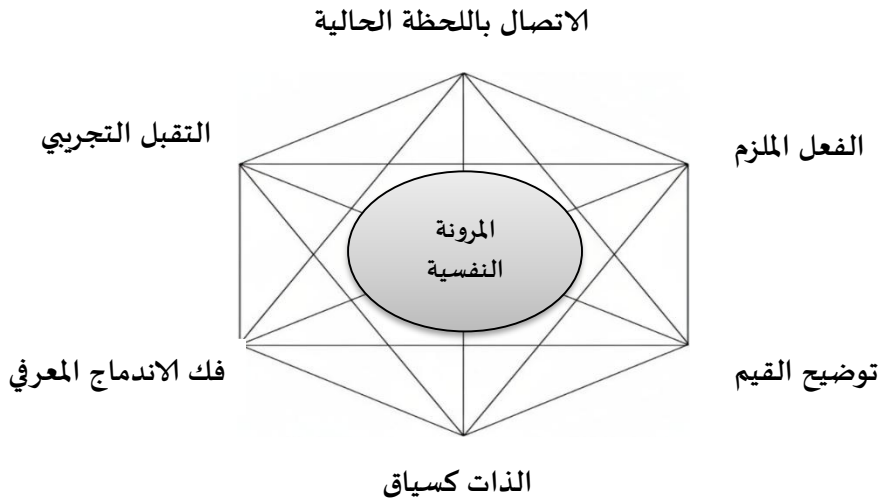
أما في الاكتئاب، فتنتج الأعراض عن انخفاض السلوك الموجّه نحو الاقتراب وجمود الأطر المعرفيّة، حيث يُعاد تنظيم الأحداث والذات والمستقبل ضمن شبكات لغويّة سلبية تقدّم العالم بوصفه حالة من العجز واليأس. ويتعامل الفرد مع معاني هذه الأطر كحقائق ثابتة غير قابلة للتغيير، بدل إدراكها كبنى لغويّة قابلة لإعادة التنظيم (Zettle, 2007, 2016). وفي اضطراب الضغط ما بعد الصدمة، تُنشئ التجارب الصدميّة روابط علائقية جامدة بين مثيرات لاحقة والخطر، فتظلّ هذه المثيرات قادرة على استدعاء الاستجابات الدفاعيّة رغم غياب التهديد الفعلي (Blackledge, 2004). وعليه، لا يهدف العلاج إلى التخلّص من الذكريات، بل إلى إعادة هيكلة الأطر العلائقية المحيطة بها، بما يتيح للفرد تطوير علاقات أكثر مرونة مع الخبرة، وتقليل السلوك التجنّبي، واستعادة التوجّه نحو حياة قائمة على القيم والأهداف.

6-2- المرونة النفسية والعلاج بالتقبّل والالتزام:

تُعدّ المرونة النفسية السيروورة المركزية للتغيير في العلاج بالتقبّل والالتزام، وتشير إلى القدرة على الاتصال بالخبرة الحالية والتجارب الداخلية مع الاستمرار في السلوك المتّسق مع القيم، حتى في مواجهة خبرات غير مرغوبة. ومن منظور نظرية الإطار العلائقي، تُعرّف المرونة النفسية بوصفها

القدرة على تبني منظورات متعددة، والتعامل مع الأطر العلائقية بمرونة، واختيار الأفعال بناءً على الملاءمة السياقية بدلاً من الاستجابة التلقائية. (Hayes et al., 2006)

ويستهدف العلاج بالتقبل والالتزام تنمية المرونة النفسية من خلال ستّ سيرورات متداخلة (انظر الشكل 4). يتمثل التقبل في موقف طوعي منفتح تجاه التجارب الداخلية دون إصدار أحكام، بوصفه سيرورة مستمرة تهدف إلى تحويل الخبرات المؤلمة من أحداث يُسعى إلى تجنبها إلى موضوع للوعي والاهتمام، بما يدعم العيش المتسق مع القيم (Hayes, Strosahl, & Wilson, 2012). وتسهم سيرورة فك الاندماج المعرفي في تغيير علاقة الفرد بأفكاره بحيث لا تتحكم في سلوكه، إذ يتعلم النظر إليها بوصفها أحداثاً ذهنية عابرة لا حقائق مطلقة، من خلال تقنيات مثل ملاحظة الأفكار، مما يقلل من التصديق المفرط والاستجابات التلقائية (Hayes & Strosahl, 2005).



شكل (4): نموذج المرونة النفسية في العلاج بالتقبل والالتزام.

كما تُعدّ سيرورة البقاء في اللحظة الحالية عنصراً أساسياً، يتمثل في تنمية القدرة على الاتصال المستمر بالأحداث النفسية والبيئية دون أحكام، عبر ملاحظة الخبرة ووصفها، بما يُسهم في تطوير إحساس بالذات كسيرورة ديناميكية متغيرة باستمرار (Hayes et al., 2006). ويكتمل ذلك منظور الذات كسياق، وهو شكل متسامٍ من الوعي ينشأ من الأطر العلائقية الديكتيكية (أنا/أنت، هنا/هناك، الآن/ثم)، يتيح ملاحظة تدفق التجارب دون التعلق بمحتواها، ويتطور من خلال اليقظة الذهنية والاستعارات، بما يعزّز شعوراً بالذات غير المحدّد بالتجارب العابرة (Hayes et al., 2006).

وتوجّه القيم السلوك بوصفها اتجاهات مستمرة للفعل تُختار لفظيًا وتعكس تطّاعات الفرد، حيث يركّز توضيح القيم على تحديد المجالات المهمة مع صياغة أهداف ملموسة، مع التأكيد على أن القيم، بخلاف الأهداف النهائية، تمثّل بوصلة مستمرة للسلوك (Hayes et al., 2013). ويُترجم ذلك عمليًا من خلال الفعل الملتزم، الذي يتمثّل في تطوير أنماط سلوكية مرنة تتّسق مع القيم المختارة، عبر استراتيجيات التقدّم نحو الأهداف ومواجهة العوائق، مع توظيف تقنيات سلوكية مثل التعرّض واكتساب المهارات بالتوازي مع التقبّل وفكّ الاندماج (Hayes, 2004).

ومن منظور نظرية الإطار العلائقي، ترتبط الاضطرابات النفسية بعدم المرونة والجمود والاندماج المعرفي، أي بضيق نطاق الاستجابات العلائقية وتنظيم السلوك حول تجنّب التجارب الداخلية. ويهدف العلاج بالتقبّل والالتزام إلى تنمية المرونة النفسية من خلال تمارين تجريبية واستعارات توضّح عدم جدوى الصراع، مع بناء أطر علائقية جديدة توجّه السلوك نحو القيم بدل التركيز على تقليل الأعراض (Hayes, 2004; Hayes et al., 2006; Zettle & Hayes, 2002).

وتدعم الأدلة التجريبية هذا التوجّه عبر سياقات متعدّدة؛ إذ أظهرت دراسات وتحليلات تلوية أن المرونة النفسية تُعدّ وسيطًا أساسيًا لتحسّن العلاجي عبر اضطرابات متنوّعة، مثل القلق والاكتئاب واضطراب الضغط ما بعد الصدمة والوسواس القهري والذهان والألم المزمن. وأثبتت دراسة ليفهايم وزملائه (Livheim et al., 2015) فعالية العلاج لدى البالغين، كما وثّقت التحليلات التلوية لنيوبي وزملائه (Newby et al., 2015) والدراسات المتعلّقة بالاعتلالات المشتركة فعاليتها عبر عينات وسياقات ثقافية متنوّعة (Gloster et al., 2020; Hashemi et al., 2022).

وعلى الصعيد العربي، أظهرت الدراسات نتائج داعمة متّسقة، رغم القيود المنهجية وحجم العينات، حيث وثّقت دراسات متعدّدة فعالية العلاج في تخفيف أعراض الوسواس القهري والاكتئاب لدى الراشدين وكبار السن (بدر، 2021؛ بوقفة، 2019؛ تركي بن سالم، 2021؛ عطية، 2011)، وخفض القلق المهني (قرني السيد، 2019)، وتحسين الرفاهية لدى أمهات ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال المصابين بالتوحد (غنيم والهنساوي، 2025). كما أبرزت دراسات أخرى دور التجنّب التجريبي بوصفه وسيطًا في المرضية النفسية؛ إذ بيّنت دراسة أبوزيد (Abouzaid, 2022) تأثيره في العلاقة بين الاحتراق النفسي والقلق والاكتئاب، وأظهرت دراسة (بحروالشريفين، 2023) ارتباطه بتفاقم الأعراض الاكتئابية في المجتمعين السوري والأردني. ويؤكد هذا التنوّع الجغرافي والعيادي أن العلاج بالتقبّل والالتزام، بوصفه تطبيقًا لنظرية الإطار العلائقي، يمثّل تدخّلًا عابرًا للتشخيص يحظى بدعم تجريبي معتبر (Dindo, Van Liew, & Arch, 2017; Tjak & Hayes, 2023).

6-3- فهم الاضطرابات الانفعالية من منظور عابر للتشخيص:

توفّر نظرية الإطار العلائقي إطارًا عابرًا للتشخيصات يفسّر القواسم المشتركة بين اضطرابات القلق والمزاج وغيرها من الاضطرابات النفسية التي تبدو ظاهريًا متباينة. فبدلًا من

التعامل مع الاكتئاب واضطراب القلق المعمّم والقلق الاجتماعي واضطراب الهلع بوصفها حالات منفصلة، تشير هذه المقاربة إلى أنها تشترك في سيوروات مرضية وظيفية محدّدة (Hayes, Strosahl, Wilson, 2012; Kanter, Baruch & Gaynor, 2006)، أبرزها عدم المرونة النفسية والتجنّب التجريبي، كما يتجلّيان في جمود الاستجابات العلائقية، والاندماج المعرفي، وتنظيم السلوك حول تجنّب الخبرات الداخلية غير المرغوبة.

وقد أسهم هذا الفهم في تطوير بروتوكولات علاجية موحّدة عابرة للتشخيص، مثل البروتوكول الموحد للعلاج العابر للتشخيص للاضطرابات الانفعالية (The Unified Protocol for Transdiagnostic Treatment of Emotional Disorders)، الذي يركّز على استهداف السيوروات المرضية المشتركة للاضطرابات الإنفعالية بدل تصميم تدخلات منفصلة لكل اضطراب على حدة (Barlow et al., 2017). وتُظهر الأدلة التجريبية أن هذه التدخلات تحقق نتائج علاجية مماثلة، أو في بعض الحالات متفوّقة، مقارنة بالتدخلات المعرفية السلوكية التقليدية، مع ميزة إضافية تتمثل في تعميم المكاسب العلاجية على الاضطرابات المصاحبة (Farchione et al., 2012).

6. المنظور النقدي والأسئلة المفاهيمية والمنهجية لنظرية الإطار العلائقي:

على الرغم من الدعم التجريبي القوي الذي تحظى به نظرية الإطار العلائقي، فإنها لا تزال تثير نقاشات نظرية مشروعة ضمن إطار التحليل السلوكي. فقد أشار بعض النقاد إلى أن مفهوم «الاعتباطية» ذاته يتطلب تفسيراً مستقلاً، إذ إن الإحالة إلى الأعراف الاجتماعية وحدها قد لا تكون كافية لتوضيح كيفية توليد الاستجابات العلائقية الاعتباطية (Gross & Fox, 2009; Osborne, 2003). كما يرى آخرون أن النظرية قد تتجاوز، على المستوى المفاهيمي، المبادئ السلوكية التقليدية لتشمل قضايا متّصلة بالخبرة الذاتية والوعي، الأمر الذي يستدعي نقاشاً فلسفياً ومنهجياً أكثر تعمّقاً.

وتتواصل كذلك النقاشات حول العلاقة بين نظرية الإطار العلائقي وأعمال كلّ من سكينر وسيدمان، ولا سيّما فيما إذا كانت تمثل امتداداً مباشراً لإسهاماتهما أم مقارنةً سلوكيةً أكثر شمولاً تعيد دمج تلك الإسهامات وصياغتها ضمن إطار نظري موحّد (Regaço et al., 2025). وعلى الصعيد المنهجي، تبرز تساؤلات تتعلق بأنسب الإجراءات لتقييم الاستجابات العلائقية المشتقة، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن اختلاف التصاميم التجريبية قد يفضي إلى نتائج متباينة (Barnes-Holmes & Harte, 2022). كما تُثار قضايا مرتبطة بالفروق الفردية في القدرة على التأطير العلائقي، وبالعوامل السياقية المؤثرة في ظهور هذه الاستجابات في مواقف محدّدة. ومع ذلك، تُعدّ هذه النقاشات مؤشراً على حيوية النظرية وتطوّرها المستمر؛ إذ يسهم التراكم البحثي والتجريبي في مراجعة مفاهيمها وصقل أدواتها، بما يعزّز مكانتها بوصفها إطاراً تفسيريّاً سلوكيّاً متماسكاً وقابلاً

للتطوير (Hughes & Barnes-Holmes, 2016). وتُسهم هذه الانتقادات، على اختلاف منطلقاتها، في تطوير النظرية بدل تقويضها، من خلال دفع البحث نحو مزيد من الضبط المفاهيمي والتجريبي.

الخاتمة والاستنتاج العام:

تمثل نظرية الإطار العلائقي تحوُّلاً نموذجياً في مقارنة علم النفس السلوكي للغة والأداء المعرفي، إذ تفترض أن الوحدة الأساسية للغة تتمثل في الاستجابة العلائقية القابلة للتطبيق، سواء أكانت اعتباطية أم غير اعتباطية. ومن خلال هذا الطرح، توفّر النظرية تفسيراً متماسكاً ومدعوماً تجريبياً للقدرات اللغوية والمعرفية الفريدة لدى الإنسان. وتكمن قوتها في ثنائيتها النظرية-التطبيقية، حيث تجمع بين إطار تفسيري قائم على الأدلة وتطبيقات علاجية وتعليمية تستند إلى البحث التجريبي.

وقد أظهرت الأبحاث العلمية، اعتماداً على دراسات تجريبية وعينات متنوعة، صحة الافتراضات الأساسية للنظرية، ولا سيما ما يتعلّق بالخصائص الثلاث المكوّنة لها: الاستلزام المتبادل، والاستلزام التركيبي، وتحويل وظائف المثيرات، فضلاً عن تفسير ظهور العلاقات المشتقة. كما أسفر توظيف مبادئ النظرية في بروتوكولات علاجية، وعلى رأسها العلاج بالتقبّل والالتزام، عن نتائج واعدة في تخفيف المعاناة النفسية عبر طيف واسع من الاضطرابات النفسية، في حين أظهرت التدخّلات التعليمية المستندة إليها قدرة ملحوظة على تعزيز القدرات المعرفية وتطوير اللغة. ومع ذلك، تظلّ نظرية الإطار العلائقي إطاراً نظرياً ديناميكياً في تطوّر مستمر، إذ يركّز البحث المعاصر على دمجها مع مناهج سلوكية أخرى ضمن علم السلوك السياقي، ودراسة التأطير العلائقي في مجالات أكثر تعقيداً، وتوثيق الأسس العصبية للاستجابات المشتقة، فضلاً عن فحص صلاحية النظرية في سياقات ثقافية متنوعة. كما تسهم النقاشات النظرية الجارية في صقل مفاهيمها الجوهرية وتوضيح علاقتها بالأطر النظرية المجاورة.

وتخلص هذه الورقة إلى أن نظرية الإطار العلائقي قد انتقلت من كونها طرحاً نظرياً إلى نموذج علمي مدعوم بالأدلة. ومع تقدّم العلوم السلوكية، تبدو هذه النظرية مرشحة للاضطلاع بدور محوري متزايد في فهم القدرات الإنسانية الفريدة المرتبطة باللغة والمرونة النفسية، بوصفها عناصر جوهرية في التجربة الإنسانية، وفي الإسهام في تطوير وتوجيه الممارسة العلاجية ضمن منظور عابر للتشخيص.

قائمة المراجع

أولا المراجع باللغة العربية

1. أصيل، أ. م.، إ.، الحديدي، م. ع.، وسباق، أ. م. (2024). فاعلية برنامج قائم على نظرية الإطار العلائقي في تنمية مهارات اللغة الاستقبالية للأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد. دراسات في الإرشاد النفسي والتربوي، 7(2)، 1-24.
2. بحر، ن. أ.، والشريفين، أ. ع. (2023). التجنب التجريبي كوسيط بين عدم التعلق بالذات وعدم تحمل الشك وأعراض الاكتئاب لدى عينة من المصابين بالاكتئاب. المجلة الدولية للبحوث النفسية والتربوية، 2(4)، 552-575.
3. بدر، أ. م.، إ. (2021). فاعلية برنامج إرشادي جماعي قائم على العلاج بالتقبل والالتزام في خفض أعراض الاكتئاب والقلق والشعور بالنقص لمجموعة من المطلقات السعوديات. مجلة كلية التربية (أسيوط)، 37(12)، 300-347.
4. المهندساي، أ. ك.، وغنيم، و. م. (2025). فعالية العلاج بالقبول والالتزام في خفض الضغوط النفسية وتحسين الرفاهية النفسية لدى أمهات أصحاب الهمم. مجلة الدراسات والبحوث التربوية، 5(13)، 82-121.
5. بوقفة، إ. (2020). فعالية العلاج بالتقبل والالتزام في التخفيف من أعراض الوسواس القهري (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة باتنة.
6. تركي بن سالم، أ. أ. (2020). فاعلية العلاج بالقبول والالتزام لخفض أعراض الاكتئاب لدى كبار السن. المجلة الدولية للعلوم التربوية والنفسية، 38(56)، 11-39.
7. الجمعي، ب. (2016). الحواضن العلمية للبحث اللغوي: من صعوبة الميلاد وهاجس التبني إلى آفاق التجربة والراهن البراعماني. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، 4(7)، 63-76.
8. الحسن، ع. أ. (2022). اكتساب اللغة: دراسة مقارنة بين النظرية السلوكية والنظرية الفطرية. مجلة الخليل في علوم اللسان، 1(2)، 166-185.
9. زوريقي، غ.، وبلميهوب، ك. (2022). الموجة الثالثة من العلاج المعرفي السلوكي: «علاج التقبل والالتزام». دراسات إنسانية واجتماعية، 11(3)، 677-690.
10. عطية، أ. م. (2011). فعالية العلاج بالقبول والالتزام في تخفيف حدة الاكتئاب لدى أمهات الأطفال المصابين بالتوحد. مجلة دراسات عربية، 10(3)، 429-484.
11. الأعرجي، ع. ع. ع. (2017). ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي. آفاق علمية، 9(1)، 108-131.
12. قرني سيد، س. ك. (2019). فعالية العلاج بالقبول والالتزام في خفض قلق المستقبل المهني لدى طلاب شعبة التربية الخاصة. المجلة العلمية لكلية التربية الخاصة - جامعة أسيوط، 35(5)، 234-282.

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية

1. Abouzaid, D. A. (2022). *The mediating role of experimental avoidance between burnout and each of the anxiety and depression among teachers of pupils with learning disabilities*. Journal of Scientific Research in Education, 23(6), 53–101. <https://doi.org/10.21608/jsre.2022.148463.1488>
2. Barlow, D. H., Farchione, T. J., Bullis, J. R., Gallagher, M. W., Murray-Latin, H., Sauer-Zavala, S., Bentley, K. H., Thompson-Hollands, J., Conklin, L. R., Boswell, J. F., Ametaj, A., Carl, J. R., Boettcher, H. T., & Cassiello-Robbins, C. (2017). *The unified protocol for transdiagnostic treatment of emotional disorders compared with diagnosis-specific protocols for anxiety disorders: A randomized clinical trial*. JAMA Psychiatry, 74(9), 875–884. <https://doi.org/10.1001/jamapsychiatry.2017.2164>
3. Barnes-Holmes, D., & Harte, C. (2022). *Relational frame theory 20 years on: The Odysseus voyage and beyond*. Journal of the Experimental Analysis of Behavior, 117(1), e733. <https://doi.org/10.1002/jeab.733>
4. Barnes-Holmes, D., Barnes-Holmes, Y., & Cullinan, V. (2000). *Relational frame theory and Skinner's Verbal Behavior: A possible synthesis*. Behavior Analysis, 23(1), 69–84. <https://doi.org/10.1007/BF03392000>
5. Barnes-Holmes, Y., Barnes-Holmes, D., & McHugh, L. (2004). *Teaching derived relational responding to young children*. Journal of Early and Intensive Behavior Intervention, 1(1), 3–12. <https://doi.org/10.1037/h0100275>
6. Blackledge, J. T. (2003). *An introduction to relational frame theory: Basics and applications*. The Behavior Analyst Today, 3(4), 421–433. <https://doi.org/10.1037/h0099997>
7. Blackledge, J. T. (2004). *Functional contextual processes in posttraumatic stress*. International Journal of Psychology and Psychological Therapy, 4(3), 443–467.
8. Christensen, A., Sevier, M., Simpson, L. E., & Gattis, K. S. (2004). *Acceptance, mindfulness, and change in couple therapy*. In S. C. Hayes, V. M. Follette, & M. M. Linehan (Eds.), *Mindfulness and acceptance: Expanding the cognitive-behavioral tradition* (pp. 288–308). New York, The Guilford Press.
9. Dindo, L., Van Liew, J. R., & Arch, J. J. (2017). *Acceptance and commitment therapy: A transdiagnostic behavioral intervention for mental health and medical conditions*. Neurotherapeutics, 14(3), 546–553. <https://doi.org/10.1007/s13311-017-0521-3>
10. Dixon, M. R., Belisle, J., McKeel, A., Whiting, S., Speelman, R., Daar, J. H., & Rowsey, K. (2017). *An internal and critical review of the PEAK*

- relational training system for children with autism and related intellectual disabilities: 2014–2017*. Behavior Analysis: Research and Practice, 40(2), 493–521. <https://doi.org/10.1007/s40614-017-0119-4>
11. Dixon, M. R., & Stanley, C. R. (2020). *Relational frame theory: Basic relational operants*. In L. J. Hayes (Ed.), *Applied behavior analysis of language & cognition: Core concepts & principles for practitioners* (pp. 175–196). Reno, Context Press.
12. Dymond, S., May, R. J., Munnally, A., & Hoon, A. E. (2010). *Evaluating the evidence base for relational frame theory: A citation analysis*. The Behavior Analyst, 33(1), 97–117. <https://doi.org/10.1007/BF03392206>
13. Farchione, T. J., Fairholme, C. P., Ellard, K. K., Boisseau, C. L., Thompson-Hollands, J., Carl, J. R., Gallagher, M. W., & Barlow, D. H. (2012). *Unified protocol for transdiagnostic treatment of emotional disorders: A randomized controlled trial*. Behavior Therapy, 43(3), 666–678. <https://doi.org/10.1016/j.beth.2012.01.001>
14. Gloster, A. T., Walder, N., Levin, M. E., Twohig, M. P., & Karekla, M. (2020). *The empirical status of acceptance and commitment therapy: A review of meta-analyses*. Journal of Contextual Behavioral Science, 18, 181–192. <https://doi.org/10.1016/j.jcbs.2020.09.009>
15. Gross, A. C., & Fox, E. J. (2009). *Relational frame theory: An overview of the controversy*. The Analysis of Verbal Behavior, 25(1), 87–98. <https://doi.org/10.1007/BF03393073>
16. Harte, C., & Barnes-Holmes, D. (2023). *A primer on relational frame theory*. In M. P. Twohig, M. E. Levin, & J. M. Petersen (Eds.), *The Oxford handbook of acceptance and commitment therapy* (pp. 77–108). Oxford, Oxford University Press.
17. Harte, C., & Barnes-Holmes, D. (2024). *Recent developments in RFT encourage interbehavioral field-based views of human language and cognition: A preliminary analysis*. Perspectives on Behavior Science, 47(3), 675–690. <https://doi.org/10.1007/s40614-024-00407-3>
18. Harte, C., Barnes-Holmes, D., Barnes-Holmes, Y., & Kissi, A. (2020). *The study of rule-governed behavior and derived stimulus relations: Bridging the gap*. Perspectives on Behavior Science, 43(2), 361–385. <https://doi.org/10.1007/s40614-020-00256-w>
19. Harte, C., Barnes-Holmes, D., de Rose, J. C., & et al. (2023). *Grappling with the complexity of behavioral processes in human psychological suffering: Some potential insights from relational frame theory*. Perspectives on Behavior Science, 46, 237–259. <https://doi.org/10.1007/s40614-022-00363->
20. Hashemi, Z., Eyni, S., & Ebadi, M. (2022). *Effectiveness of acceptance and commitment therapy in depression and anxiety in people with*

- substance use disorder. Iranian Journal of Psychiatry and Behavioral Sciences, 16(1), e110135. <https://doi.org/10.5812/ijpbs.110135>
21. Hayes, S. C. (2004). *Acceptance and commitment therapy, relational frame theory, and the third wave of behavioral and cognitive therapies*. Behavior Therapy, 35(4), 639–665. [https://doi.org/10.1016/S0005-7894\(04\)80013-3](https://doi.org/10.1016/S0005-7894(04)80013-3)
22. Hayes, S. C. (2016). *Acceptance and commitment therapy, relational frame theory, and the third wave of behavioral and cognitive therapies—Republished article*. Behavior Therapy, 47(6), 869–885. <https://doi.org/10.1016/j.beth.2016.11.006>
23. Hayes, S. C., & Barnes-Holmes, D. (2013). *Relational operants: Processes and implications: A response to Palmer’s review of relational frame theory*. Journal of the Experimental Analysis of Behavior, 82(2), 213–224. <https://doi.org/10.1901/jeab.2004.82-213>
24. Hayes, S. C., Barnes-Holmes, D., & Roche, B. (2003). *Behavior analysis, relational frame theory, and the challenge of human language and cognition: A reply to the commentaries on Relational Frame Theory: A post-Skinnerian account of human language and cognition*. The Analysis of Verbal Behavior, 19, 39–54.
25. Hayes, S. C., Barnes-Holmes, D., & Roche, B. (Eds.). (2001). *Relational frame theory: A post-Skinnerian account of human language and cognition*. New York, Kluwer Academic/Plenum Publishers.
26. Hayes, S. C., Fox, E., Gifford, E. V., Wilson, K. G., Barnes-Holmes, D., & Healy, O. (2001). *Derived relational responding as learned behavior*. In S. C. Hayes, D. Barnes-Holmes, & B. Roche (Eds.), *Relational frame theory: A post-Skinnerian account of language and cognition* (pp. 21–50). New York, Kluwer Academic/Plenum Publishers.
27. Hayes, S. C., & Long, D. M. (2013). *Contextual behavioral science, evolution, and scientific epistemology*. In S. Dymond & B. Roche (Eds.), *Advances in relational frame theory: Research and application* (pp. 5–26). Reno, Context Press.
28. Hayes, S. C., Levin, M. E., Plumb-Villardaga, J., Villatte, J. L., & Pistorello, J. (2013). *Acceptance and commitment therapy and contextual behavioral science: Examining the progress of a distinctive model of behavioral and cognitive therapy*. Behavior Therapy, 44(2), 180–198.
29. Hayes, S. C., Luoma, J. B., Bond, F. W., Masuda, A., & Lillis, J. (2006). *Acceptance and commitment therapy: Model, processes, and outcomes*. Behaviour Research and Therapy, 44(1), 1–25. <https://doi.org/10.1016/j.brat.2005.06.006>
30. Hayes, S. C., & Strosahl, K. D. (2005). *A practical guide to acceptance and commitment therapy*. New York, Springer.

31. Hayes, S. C., Strosahl, K. D., & Wilson, K. G. (2012). *Acceptance and commitment therapy: The process and practice of mindful change* (2nd ed.). New York, Guilford Press.
32. Hughes, S., & Barnes-Holmes, D. (2016). *Relational frame theory: Implications for the study of human language and cognition*. In R. D. Zettle, S. C. Hayes, D. Barnes-Holmes, & A. Biglan (Eds.), *The Wiley handbook of contextual behavioral science* (pp. 129–168). Chichester, John Wiley & Sons, Ltd.
33. Hughes, S., & Barnes-Holmes, D. (2016). *Relational frame theory: The basic account*. The Association for Contextual Behavioral Science Publications.
34. Johansson, R. (2019). *Arbitrarily applicable relational responding*. In V. Goertzel & S. Gevitz (Eds.), *Artificial General Intelligence* (pp. 101–110). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-030-27005-6_10
35. Johansson, R. (2025). *Modeling arbitrarily applicable relational responding with the non-axiomatic reasoning system: A machine psychology approach*. *Frontiers in Robotics and AI*, 12, 1586033. <https://doi.org/10.3389/frobt.2025.1586033>
36. Kanter, J. W., Baruch, D. E., & Gaynor, S. T. (2006). *Acceptance and commitment therapy and behavioral activation for the treatment of depression: Description and comparison*. *Behavior Analysis in Practice*, 29(2), 161–185. <https://doi.org/10.1007/BF03392129>
37. Kissi, A., Hughes, S. J., Mertens, G., Barnes-Holmes, P. M. D., De Houwer, J., & Crombez, G. (2017). *A systematic review of pliance, tracking, and augmenting*. *Behavior Modification*, 41(5), 683–707. <https://doi.org/10.1177/0145445517693811>
38. Li, Z., Shang, W., Wang, C., Yang, K., & Guo, J. (2022). *Characteristics and trends in acceptance and commitment therapy research: A bibliometric analysis*. *Frontiers in Psychology*, 13, 980848. <https://doi.org/10.3389/fpsyg.2022.980848>
39. Livheim, F., Hayes, L., Ghaderi, A., Magnusdottir, T., Högfeldt, A., Rowse, J., ... Tengström, A. (2015). *The effectiveness of acceptance and commitment therapy for adolescent mental health: Swedish and Australian pilot outcomes*. *Journal of Child and Family Studies*, 24(4), 1016–1030. <https://doi.org/10.1007/s10826-014-9912-9>
40. Luciano, M. C., Gómez Becerra, I., & Rodríguez Valverde, M. (2007). *The role of multiple-exemplar training and naming in the emergence of a generalized operant repertoire in children from a low socioeconomic environment*. *Journal of the Experimental Analysis of Behavior*, 88(3), 299–316. <https://doi.org/10.1901/jeab.2007.08-06>
41. McEntegart, C. (2018). *A brief tutorial on acceptance and commitment therapy as seen through the lens of derived stimulus relations*.

- Perspectives on Behavior Science, 41(1), 215–227. <https://doi.org/10.1007/s40614-018-0149-6>
42. Mulhern, T. (2022). *Relational frame theory, made simple*. Cham, Springer.
43. Newby, J. M., McKinnon, A., Kuyken, W., Gilbody, S., & Dalgleish, T. (2015). *Systematic review and meta-analysis of transdiagnostic psychological treatments for anxiety and depressive disorders in adulthood*. Clinical Psychology Review, 40, 91–110. <https://doi.org/10.1016/j.cpr.2015.06.002>
44. Osborne, J. G. (2003). *Beyond Skinner? A review of Relational frame theory: A post-Skinnerian account of human language and cognition* by Hayes, Barnes-Holmes, and Roche. *The Analysis of Verbal Behavior*, 19, 19–27. <https://doi.org/10.1007/BF03392979>
45. Pomorska, K., & Ostaszewski, P. (2023). *From direct contingencies to derived relations: The ever-developing nature of theory and practice in behavior analysis*. *Postępy Psychiatrii i Neurologii*, 32(4), 200–208. <https://doi.org/10.5114/ppn.2023.135529>
46. Regaço, A., Harte, C., Barnes-Holmes, D., Leslie, J., & de Rose, J. C. (2025). *Naming, stimulus equivalence and relational frame theory: Stronger together than apart*. *Perspectives on Behavior Science*, 48(1), 97–114. <https://doi.org/10.1007/s40614-024-00427-z>
47. Regaço, A., Harte, C., Barnes-Holmes, D., Leslie, J., & de Rose, J. C. (2025). *Naming, stimulus equivalence and relational frame theory: Stronger together than apart*. *Perspectives on Behavior Science*, 48, 97–114. <https://doi.org/10.1007/s40614-024-00427>
48. Rutschmann, R., Romanczuk-Seiferth, N., Gloster, A., & Richter, C. (2024). *Increasing psychological flexibility is associated with positive therapy outcomes following a transdiagnostic ACT treatment*. *Frontiers in Psychiatry*, 15, 1403718. <https://doi.org/10.3389/fpsyt.2024.1403718>
49. Sidman, M. (2009). *Equivalence relations and behavior: An introductory tutorial*. *The Analysis of Verbal Behavior*, 25(1), 5–17. <https://doi.org/10.1007/BF03393066>
50. Skinner, B. F. (1957). *Verbal behavior*. Appleton-Century-Crofts. <https://doi.org/10.1037/11256-000>
51. Stewart, I., & Roche, B. (2013). *Relational frame theory: An overview*. In S. Dymond & B. Roche (Eds.), *Advances in relational frame theory: Research and application* (pp. 52–67). Reno, Context Press.
52. Tarbox, J., Campbell, V., & Pio, S. (2020). *Rule-governed behavior and verbal regulation*. In M. Fryling, R. A. Rehfeldt, J. Tarbox, & L. J. Hayes (Eds.), *Applied behavior analysis of language & cognition: Core concepts & principles for practitioners* (pp. 2014–2333). Context Press, an imprint of New Harbinger Publications, Inc.

53. Tarbox, J., Zuckerman, C. K., Bishop, M. R., Olive, M. L., & O'Hara, D. P. (2011). *Rule-governed behavior: Teaching a preliminary repertoire of rule-following to children with autism*. *The Analysis of Verbal Behavior*, 27(1), 125–139. <https://doi.org/10.1007/BF03393096>
54. Tjak, J., & Hayes, L. (2023). *ACT for Depression*. In M. P. Twohig, M. E. Levin, & J. M. Petersen (Eds.), *The Oxford handbook of acceptance and commitment therapy* (pp. 311–330). Oxford, Oxford University Press.
55. Törneke, N. (2010). *Learning RFT: An introduction to relational frame theory and its clinical application*. Oakland, Context Press/New Harbinger Publications, Inc.
56. Törneke, N., Luciano, C., & Valdivia Sala, S. (2008). *Rule-governed behavior and psychological problems*. *International Journal of Psychology and Psychological Therapy*, 8(2), 141–156.
57. Luoma, J. B., Hayes, S. C., & Walser, R. D. (2007). *Learning ACT: An acceptance and commitment therapy skills-training manual for therapists*. Oakland, New Harbinger Publications.
58. Zettle, R. D. (2007). *ACT for depression: A clinician's guide to using acceptance and commitment therapy in treating depression*. New Harbinger Publications.
59. Zettle, R. D. (2016). *Acceptance and commitment theory of depression*. In A. Wells & P. Fisher (Eds.), *Treating depression: MCT, CBT, and third wave therapies* (pp. 169–187). Chichester, Wiley-Blackwell.
60. Zettle, R. D., & Hayes, S. C. (2002). *Brief ACT treatment of depression*. In F. W. Bond & W. Dryden (Eds.), *Handbook of brief cognitive behaviour therapy* (pp. 35–54). John Wiley & Sons.
61. Zettle, R. D., Hayes, S. C., Barnes-Holmes, D., & Biglan, A. (Eds.). (2016). *The Wiley handbook of contextual behavioral science*. Chichester, John Wiley & Sons.